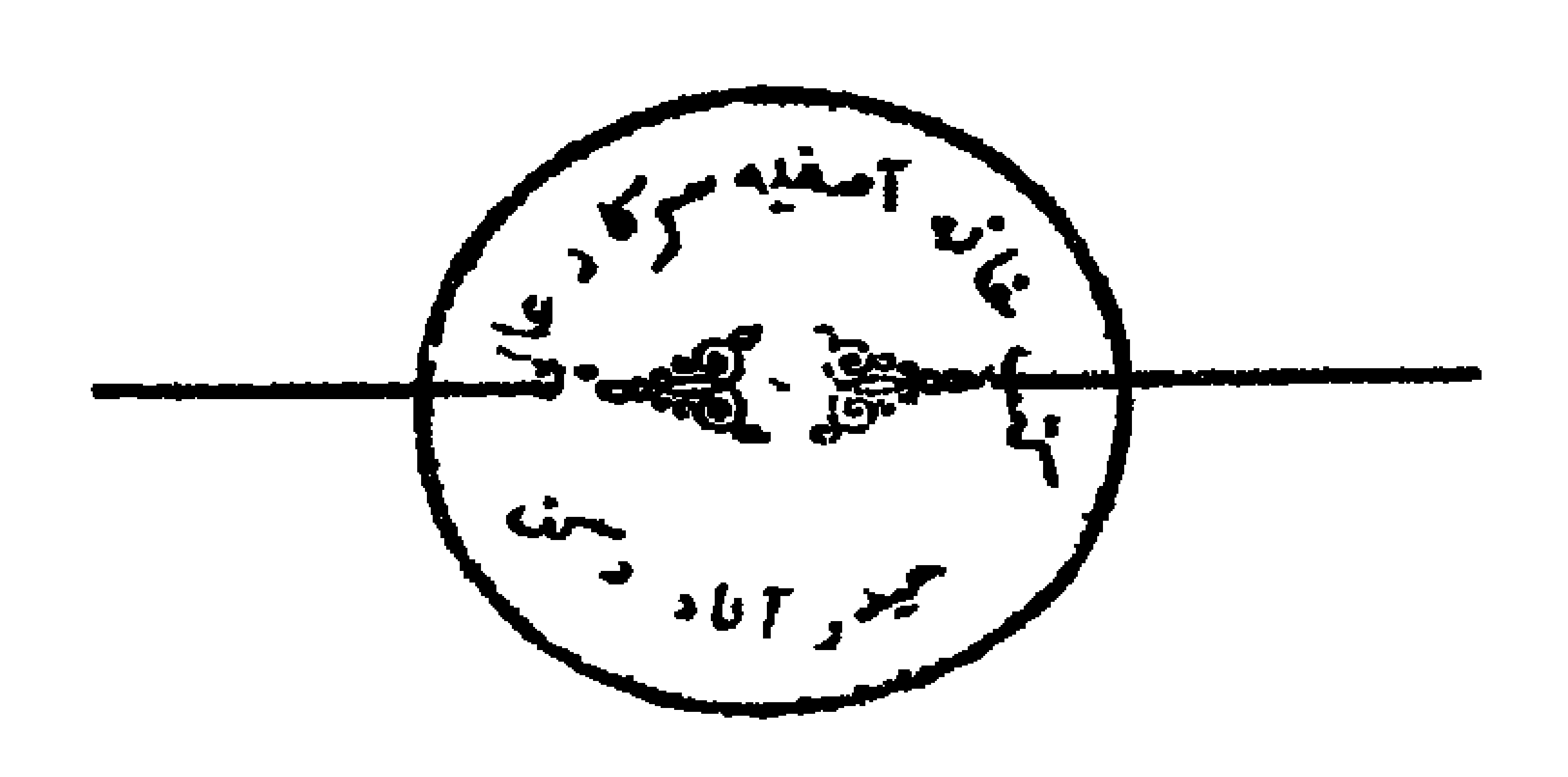
كتاب الفناء فى المشاهدة

تأليف الشيخ الامام العالم العامل الفرد الغوث
محى الدين ابى عبد الله محمد بن على بن محمد
ابن العربى الحاتمى الطائى المتوفى
سنة ٦٣٨ رحمه الله
تعالى



الطبعة الاولى

بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية
حيدرآباد الدكن لازالت شموس افاداتها بازغة
وبدور افاضاتها طالعة الى آخر الزمن
سنة ١٣٦١ من الهجرة
النبوية عليه الف
سلام وتحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قدر وقضى وحكم فأمضى ورضى وأرضى وتقدس عظمة وجلالا ان يكون عوضا لما تنزه ان يكون جوهرا اوعرضا وطهر قلوب من اختار من عباده فلم يجعل بها من علل الشكوك والشبه مرضا. ولا نصبهم لسهام المجادلة والمخاصمة غرضا. اضاء لهم بذاتِ الاضا حسام الهدى المنتضى فضاق بهم الفضا. فمنهم من لبس ونضا ومنهم الجعافير والاضا، فمن لبس ثوبه جعل مامنحه قرضا، ومن نضا ثوبه قلب عين سنته فرضا. فعرضهم لمباهاة الملأ الاعلى عرضا، وحكمهم فى العالم العلوى والسفلى فاورثهم سماء وارضا، فهم يقطعونها بقدم القدم طولا وعرضا، ويتحكمون فى قواعدهم ابراما ونقضا، والصلاة على من قيل له (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ، فتميز بهذا المقام عمن قال (وعجلت اليك رب لترضى) صلاة دائمة بلسان القدم فلا يجوز عليها انقضا، وعلى آله واصحابه المخصوصين بالرضا وعلى اخوانه المصدقين به من المقام العلى المرتضى .

اما بعد فان الحقيقة الالٰهية تتعالى ان تشهد بالعين التى ينبغى لها ان تشهد، وللكون اثر فى عين المشاهد فاذا فنى مالم يكن وهو فان ويبقى من لم يزل وهو باق حينئذ تطلع شمس البرهان لادراك العيان فيقع التنزه المطلق المحقق فى الجمال المطلق، وذلك عين الجمع والوجود ومقام السكون والجمود فترى العدد واحدا لكن له سيرفى المراتب فيظهر بسيره اعيان الاعداد ومن هذا المقام زل القائل بالاتحاد، فانه رأى مشى الواحد المراتب الوهمية فتختلف عليه الاسماء باختلاف

المراتب

المراتب، فلم ير العدد سوى الاحد، فقال بالاتحاد فاذا ظهر باسمه لم يظهر بذاته فيما عدا مرتبته الخاصة وهي الوحدانية ومهما ظهر فى غيرها من المراتب بذاته لم يظهر اسمه وسمى فى تلك المرتبة بما تعطيه حقيقة تلك المرتبة فباسمه يفنى، وبذاته يبقى فاذا قلت الواحد فنى ماسواه بحقيقة هذا الاسم واذا قلت اثنان ظهر عينها بوجود ذات الواحد فى هذه المرتبة لا باسمه وان اسمه يناقض وجود هذه المرتبة لا ذاته.

وهذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن اكثر الخلق لما فيه من العلو فغوره بعيد والتلف فيه قريب فان من لا معرفة له بالحقائق ولا بامتداد الرقائق ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به وهو لم يذقه ربما قال انا من اهوى ومن اهوى انا فلهذا نستره ونكتمه .

وقد كان الحسن البصرى رحمه الله اذا اراد ان يتكلم فى مثل هذه الاسرار التى لا ينبغى لمن ليس من طريقها ان يقف عليها دعا بفرقد السبخى ومالك ابن دينار ومن حضر من اهل هذا الذوق واغلق بابه دون الناس وقعد يتحدث معهم فى مثل هذا الفن فلولا وجوب كتمه ما فعل هذا وكذا قال ابو هريرة رضى الله عنه فيما ذكره البخارى فى صحيحه حملت عن النبى صلى الله عليه وسلم جرابين فاما الواحد فبثثته فيكم واما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم، وقال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى (الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى ولقلتم انى كافر وعن على بن ابى طالب عليه السلام ضرب بيده الى صدره ويقول آه ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وقال عليه السلام ما فضلكم ابو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشىء وقع (١) فى صدره ولم يبين ما ذاك الشىء فكتمه عليه وليس كل

---

(١) كذا فى الاصل — وفى التاج ج ٣ — ص ٦٠٦ — ومنه الحديث لم يسبقكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكنه بشىء وقر فى القلب وفى رواية وقر فى صدره — اى سكن فيه وثبت من الوقار والحلم والرزانة.

علم يلزم به العالم تبيينه وقال النبي صلى الله عليه وسلم خاطبوا الناس على قدر عقولهم فينبغي لمن وقع في يده كتاب الله(١) في علم لا يعرفه ولا سلك طريقه لا يبدى فيه ولا يعيد ويرده الى اهله ولا يؤمن به ولا يكفر ولا يخوض فيه البتة ، رب حامل فقه ليس بفقيه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) فقد ورد فيهم الذم حيث تكلموا فيما لم يسلكوا طريقه وانما سقنا هذا كله لان كتب اهل طريقتنا مشحونة بهذه الاسرار ويتسلطون عليها اهل الافكار بافكارهم واهل الظاهر بأول احتمالات الكلام فيقعون فيهم ولو سئلوا عن مجرد اصطلاح القوم الذي تواطؤا عليه في عباراتهم ما عرفوه فكيف ينبغي لهم ان يتكلموا فيما لم يحكموا اصله .

وربما قالوا اذا عاينوهم يتكلمون بمواجيدهم مع اصحابهم دين مكتوم، دين مشوم وما عرفوا اجهات الدين وهؤلاء ما تكتموا بالدين فقط وانما تكتموا بنتائجه وما وهبهم الحق تعالى في طاعته حين اطاعوه وبما صح عندهم من احاديث الاحكام ما اتفق على ضعفه وتجريح نقلته وهم اخذوه من الكشف عن قائله صحيحا فتعبد به انفسهم على غير ما تقرر عند علماء الرسوم فينسبونهم الى الخروج عن الدين وما انصفوا فان للحق وجوها يوصل اليه منها هذا احدها ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف ويتركون العمل به مثل ذلك سواء فما احسن من سلم واستسلم واشتغل بنفسه حتى يفارق موطنه بموطنه فذلك السعيد الفائز بحقائق الوجود، فالساترون لهذه الاسرار في الفاظ اصطلحوا عليها غيرة من الاجانب والقائلون بوجود الآثار بالهمم لا يزالون مقيمين على مناهجهم حتى يلوح لهم اعلام بايدي الروحانيات العلى القائمين بالمرتبة الزلفى من مقام الهوانية فيها كتب مرقومة مقدسة تقوم لهم شواهد على تحقيق ما هم عليه وتعظيم الانتقال عن هذا الوصف الى وصف آخر انتقالا ميزها فينهتك ستر الساتر فيكشف ما ستر ويفك معماه ويحل قفله ويفتح مغالقه، ويتحد هم ذلك الآخر بمطالعة الحقيقة الاحدية فلا يرى الا هما واحدا لا غير

(١) كذا في الاصل وكأن كلمة الجلالة مزيدة هنا.

عنه

عنه تكون الآثار على الحقيقة فتارة تكون عنه تحويرا و تارة تكون عنه عند تكون هذه الهمم عنه فهو المتوجه اليه بكل وجه وان لم يعلم و المطلوب بكل هم وان لم يوصل اليه و المنطوق به فى كل لسان وان لم ينقال فما اشدها من حيرة وما اعظمها من حسرة اذا كشف الغطا و اتحد البصر وجمع الشمس و القمر وظهر المؤثر فى الاثر وادرك بعين البصر(١) وتحول لهم فى الصور ووقع المكر بمن مكر وربح من آمن وخسر من كفر .

وجاء الخطاب الالهى باللسان الاقدس المترجم عنه بعبارة الاخلاص فمن استخلص عبادته من يدجزائه وكان حنيفى المذهب قريب المذهب فقد وفى بامتثال الامر، وكان من عالم النور لامن عالم الاجر(الله نور السموات والارض) (لهم اجرهم ونورهم) (نورهم يسعى بين ايديهم) فيقول اثاربكم فيتبعونه

فالجزاء عند المحققين مصروف الى الله لايتمكن عندهم طلب له منه لضيق الوقت والشغل به تعالى اكد عليهم فمن فاته حظه من الله فذلك الخاسر والعمل الذى هو سبب له من اقامة فرض او سنة يطلب ثوابه بحظ له فلا تشغل نفسك به فان حركة الابدان لابدلها من نتائجها المحسوسة فلا تسأل ما تعطيها الحركات بذاتها فيضيع وقتك عليك كما ان الحق سبحانه(كل يوم هو فى شأن) فاليوم الزمن الفرد وشأنه فى حقك فانه لك يوجد ويكون لالنفسه لنزاهته عن الاغراض اويعود عليه من خلقه ما لم يكن عليه ولاخلق فمن اجلك يخلق فكن فى مقابلة هذا الامر واشتغل به وكن انت كل يوم فى شأن ربك كما ان ربك هو فى شأنك وانه ما خلقك الا لتعبده وتتحقق به لا لتطلب الشغل بغيره وماسواك وسواه رزق لك فاليك يصل (ما اريد منهم من رزق وما اريدان يطعمون ان الله هو الرزاق) فاذا قال لك خذ فقل انت واذا قال لك ارجع فقل منك اليك واذا قال لك كيف اقول لك خذ فتقول انت وانا لاآخذ فقل له وكذلك انا على الحقيقة لا آخذ فان الاخذ فعل ولافعل لى وانت الآخذ اذا انت الفاعل فخذانت لى ما اعطيتنى ولاتقل لى خذيا من لايأخذ فتحجبنى بالاخذ عنك ولااخذلى

(١) خ ـ بعيون البشر كذا.

فلاانت لى ولااخذلى فاحصل فى العدم وهو اشر الشر والا فالا قالة الاقالة من هذا الخطاب المهلك يا من يدرك ولايدرك ويملك ولايملك .

وربما يقام لك فى بعض هذه المواطن الدين المستقيم الحكمى النبوى الاختصاصى الخالص والدين غير المستقيم الحكمى الممزوج الفكرى العقلى وتميز بينهما وترى غاية كل طريق منهما الحق سبحانه من حيث سعادتك لا من حيث الشقاوة، فاسلك دين الاختصاص الخالص النبوى فانه ارفع وانفع وان كان الآخر رفيع المنار ولكن بوجود هذا الآخر يضمحل رسمه وان كان حقا من وجه وربما لو كان واضعه فى عالم الاحياء حاضر الرجع الى دين الاختصاصى النبوى ترى الدين الاختصاصى يرجع من وجه او بعض وجوهه الى دين الاختصاصى الخالص نسخا اليست الشرائع التى كانت عليها الامم من قبل كامة موسى وعيسى عليهما السلام قد نسخ بعض وجوهها شرع محمد صلى الله عليه وسلم وقال « لو كان موسى حيا لما وسعه الا ان يتبعنى » فاحرى الشرع الحكمى الابتداعى الفكرى وهو اولى بالرفع وان كان حقا كما ذكرناه من وجه ثم لتعلم ان اشقى الاشقياء صاحب كتاب ضل واتبع هواه مع ايمانه بكتابه ولكن هنا نكتة احب بيانها وان قليلا ما يقع التنبيه عليها وربما غلط فيها قوم من حيث الجواز الامكانى والوجود قد ثبت على احدى طرفى الممكن فلا سبيل الى انقلابه وهو ان الحق سبحانه ما تجلى بشىء قط واحتجب عنه ولا كتب فى قلب ايمانا فمحاه وكل من قال استتر عنى بعد التجلى فما تجلى له قط ولكن جلى له فقال هو هو ولا ثبات للكون على حال فتغير عليه فقال بالحجاب فكذلك كتبه الايمان واتيان الآيات والبينات اذا اعطيت فى القلوب وقامت شواهدها منها فلا تزال ابدا فاذا ازيل عن شخص مثل هذا فاعلم انه ما كتب قط فى لوح قلبه ولا كان ردا عليها لكن كانت ردا عليه واعطى عبارتها ولسانها لا عيانها ووجودها فمثل هذا العطاء يسترد ويزال ولذلك قال (اتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها) فقوله فانسلخ منها كما يسلخ الرجل عن ثوبه والحية عن جلدها فكانت عليه ردا كما ذكرنا

ذكرنا لم يكن عنده سوى النطق فاذا نطق ظهر مكنون الاسم واثره بالخاصية ولا يشترط فى الخواص المفردة تطهير ولا تقديس ولا حضور ولا جمعية فلا كفر ولا ايمان الا بمجرد مايكون النطق بتلك الحروف المعينة ظهر الاثر ولو كان القائل غافلا عن نطقه وقد اتفق مثل هذا لبعض اصحابنا وهو يقرأ القرآن فمر بآية فرأى اثرا عندها فتعجب من ذلك ولم يدر ما سببه فتفطن لقراءته على الآيات المتقدمات فقرأ فلما وصل الى آية معينة رأى الانفعال فكلما كررها رأى الانفعال وعرف ان الآية صادفت عند التلاوة محلها الذى تفعل فيه بالخاصية فاتخذها اسما فكان يفعل به ذلك الامر متى شاء فمثل هذا لا يغتر(١) به المحقق وانما فرحه بما تحقق به كما قيل لابى يزيد ما اسم الله الاعظم فقال اصدق وخذ اى اسم شئت واحاله على التحقيق لا على النطق واللفظ فقال تعالى (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان).

وللقلب وجهان ظاهر وباطن فباطنه لايقبل المحوبل هو اثبات مجرد محقق وظاهره يقبل المحو هو لوح المحو والاثبات فيثبت فيه وقتا امرما (ثم يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) فلو كان صاحب الكتاب مؤمنا بكل كتابه ما ضل ابدا ولكن آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا قال تعالى (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا. اولئك هم الكافرون حقا) (ان الذين كفروا من اهل الكتاب اولئك هم شر البرية) وبهذه المثابة هم اصحاب علم الرسوم واكثر اهل النظر الفكرى من الفلاسفة واصحاب الكلام يصدقون ببعض مايأتى به اولياء الله مما يتحققون به من المواجيد والاسرار التى شاهدوها ووجدوها فما وافق نظرهم وعلمهم صدقوا به ومالم يوافق نظرهم وعلمهم ردوه وانكروه وقالوا هذا باطل لمخالفة دليلنا ولعل دليل هذا المسكين لم يكمل اركانه وهو يتخيل انه كامل فهلا سلم هذا القول لصاحبه ولايلزمه التصديق فكان يجنى ثمرة التسليم وانا والله اخاف على المنكرين على هذه الطائفة وقد قال بعضهم من قعد معهم يعنى مع اهل الحقائق

---

(١) ر ــ لا يعتبر

من الصوفية وخالفهم فى شيء مما يتحققون به نزع الله نور الايمان من قلبه .

وقد سأل بعض النظار ممن يدعى الحكمة بعض المحققين من اهل الوجود عن مسألة وانا حاضر وطلبته تعود فاخذ المحقق يتكلم فى تلك المسئلة فقال له الناظر هذا لا يصح عندى فبينه لى فلعلى فيه على غلط فعرف المحقق ان قوله واهية منه فسكت عنه من اجل الجدل والخصام فانهم لا يقولون به لما فيه من سوء الادب ورفع البركة قال صلى الله عليه وسلم وقد تنازع اصحابه عنده عندى لاينبغى التنازع وقال صلى الله عليه وسلم أريت ليلة القدر فتلاحى رجلان فرفعت .

فطريق الكشف والشهود لا تحتمل المجادلة والرد على قائله وحرمانه يعود على المنكر وصاحب الوجود مسعود بما حصل عليه فقام واحد من طلبة ذلك الشيخ وقال للنظار المسئلة التى اوردها سيدنا فى غاية الايضاح صحيحة وان لم اقدر على العبارة عنها فقال الفقيه كلام مليح مزخرف حسن النسج تقبله العقول باول وهلة فاذا حككته فى محك النظر وسبرته بالادلة ذهب ولم يكن له وجود وكان باطلا محضا مثل هذه المسئلة التى اوردها سيدنا الساعة فسكت ذلك الشيخ عن الكلام فيها ولم يتفطن الناظر لما قاله وما جرى على لسانه وكان ذلك تعريفا لهذا المحقق بما فى نفس هذا الناظر ليمسك عن الكلام معه فى مثل هذه الامور .

ثم لتعلم ان الايمان المؤيد بالاعمال الصالحة اقسامه فى يد الحضرة المقدسة فيرى عند اقامته فيها تفجر انهار العلوم والمعارف والحكم والاسرار من بين تلك الانامل ويرى ما ملكته تلك اليد لاصحاب المقامات المحمدية فتتغذى بذلك روحانية ساكن هذه الحضرة وهى رابعة اربعة كلهم مشتركون فى هذا المقام الاقدس فهذه حضرة الاقامة والثانية حضرة النور والثالثة حضرة العقل والرابعة حضرة الانسان .

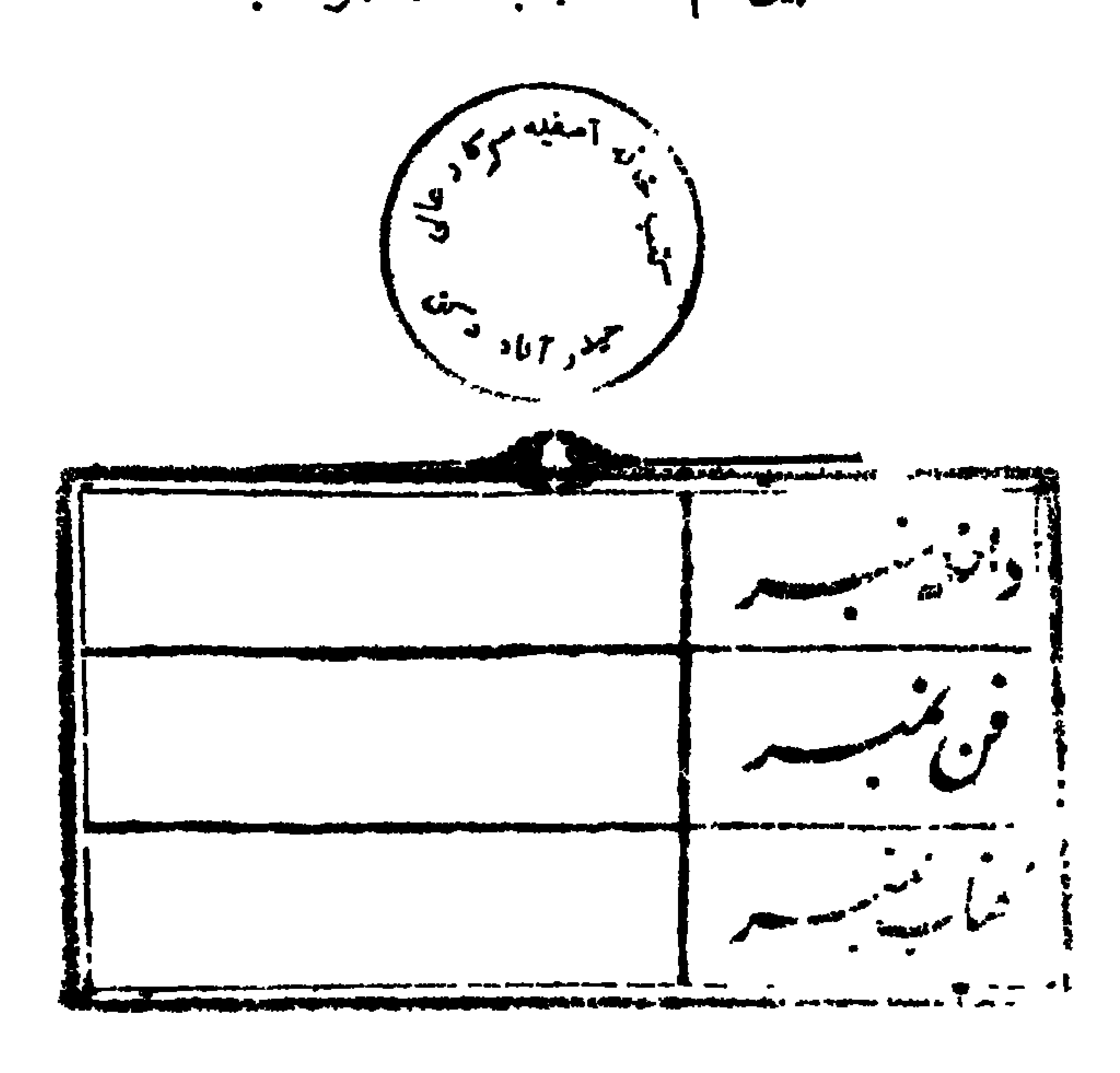
وحضرة الانسان أتم الحضرات وجودا فحضرة الاقامة اذا نزلها العبد شرب من نهر الديمومية وانتج له هذا المقام بهذه الحضرة مقام الخشية الربانية والرضا الالهى فان الخشية الالهية تفتح حضرة اخرى غير هذه سيرد ذكره

في منازل الفتوحات المكية وكذلك خشية الهوية ستردا يضا في منازل الفتوحات المكية سكتنا عنهما .

وهذا المنزل الذى تكلمنا عليه في هذا الكتاب فهو منازل الفناء . وطلوع الشموس وله مرتبة الاحسان الذى يراك بهلا الاحسان الذى تراه به قال جبرئيل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم ما الاحسان قال ان تعبدالله كأنك تراه واشار لاهل الاشارات بقوله فان لم تكن تراه اى رؤيته لاتكون لا بفنائك عنك .

واثبت الالف من تراه لاجل ظهوره لتعلق الرؤية اذلوحذفها وقال فان لم تكن تره لم يصح الرؤية فان الهاء من تراه كناية عن الغائب والغائب لايرى والالف محذوفة فكان يرى بلارؤية هذا لايصح فلهذا ثبت .

واما حكمة ثبوت الهاء فانه كان معنى فان لم تكن تراه اشارة الى انك اذا رأيت بوجود الالف فلاتقل احطت فانه تعالى يجل ويعز عن ان يحاط بهوما لم يحط به فتكون الهاء الذى هوضمير ما غاب عنك من حقيقة الحق عند الرؤية تشهد لك بعدم الاحاطة والله يقول الحق وهويهدى السبيل، تم الكتاب بحمدالملك الوهاب



او ترى نفسك طلبا ما ممن خلق من اجلك سواء كان مثلك اولم يكن فان الله تعالى قد طلب ذلك منك وانت لم تشعر فان كنت اطعته فى ذلك فان ذلك يطيعك وان كانت الاخرى فذلك كذلك واعلم ان الله خلق هذا النوع الانسانى من اجل الانسان قال الله تعالى(ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ـ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) فافهم هذه الاشارة ترشد ان شاء الله تعالى .

اشارات الجلال. قال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) ما من آية فى كتاب الله تعالى ولا كلمة فى الوجود الاولها ثلاثة اوجه جلال وجمال وكمال فكمالها معرفة ذاتها وعلة وجودها وغاية مقامها وجلالها وجمالها معرفة توجهها على من تتوجه عليه بالهيبة والانس والقبض والبسط والخوف والرجاء لكل صنف شرب معلوم منها وانما عدلنا فى هذا الجزء الى ذكر جلال آية وجمال اخرى ليعرف الطالب المريد صور المناسبة بين المتباينين فليس لكلمة مقام رابع ويظهر سر ذلك فى الالهية فى معرفة الحق نفسه ويديه وقبضته فاعلم ذلك فأفزع المحققون (١) جلال هذا القول اذاحالهم على استطاعتهم فرمى بهم فى بحر البعد وظهر فى عزته فما قدر احد من المكلفين ان يفى باستطاعته فى تقواه فاهلكهم جلال هذا السهل الممتنع فلما اشتد عليهم هذا الجلال حتى كاد ان يهلكهم بسطهم الحق وآنسهم فاشهدهم(اتقوا الله حق تقاته) .

الجمال. قال الله تعالى(اتقوا الله حق تقاته) فنزل اليهم فى جماله مباسطة حين امرهم بالوفاء بالحق فانسوا واطمأنوا فخافوا على انفسهم من غوائل البسط فاستعملوا نفوسهم واسرارهم فى (اتقوا الله ما استطعتم) فحفظت عليهم هذه الآية ادب الحضرة اشارة اتقوا الله بالله وهو قوله عليه السلام واعوذ بك منك قال الله تعالى (ذق انك انت العزيز الكريم) وقال (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) اشارة اتقوا الله من كونه ساخطا بالله من كونه راضيا .

اشارة جامعة كونية. اتقوا الله المعاقب بالله المعافى فمن عرف حقائق

---

(١) كذا

الاسماء . فقد اعطى مفا تيح العلوم ويكفى هذا القدر فان الغرض من ذكرى تفصيل هذه الآيات تعليم المدخل الى هذا الفن ومعرفة مأخذه فانه مأخذ عزيز والله يعصمنا واياك من الدعوى .

تنبيه. اعلم يا انى ان القرآن العزيز خاطبنا الحق به على طريقين منه آيات خاطبنا بها يعرفنا فيها باحوال غيرنا وما كان منهم والى اين كان مبدؤنا والى اين كان غايتنا وهو الطريق الواحد ومنه أيات خاطبنا بها لنخاطبه بها وهى على قسمين خاطبنا بآيات لنخاطبه بها مخاطبة فعلية مثل قوله تعالى (اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ـ واتموا الحج والعمرة لله) وغير ذلك ومخاطبة لفظية مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) (ربنا آمنا فاغفر لنا) (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) واشباه ذلك كثير وليس القرآن يحوى على غير هذا وينبغى لك ان تتنبه للتفرقة فى كلام الله تعالى اذا قرأته مثل قوله (واذا لقوا الذين آمنوا) قالوا وقف هنا وبين (قوله آمنا) وقف ثم قل (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا) وقف ثم قل (انا معكم انما نحن مستهزؤن) وقف ثم قل (الله يستهزئ) فانك اذا قرأته على هذا الحد عرفت اسراره وميزت مواقع الخطاب وحكايات الاحوال والاقوال والاعمال وتناسب الاشياء فاعلم ذلك وقد تبين المقصود فلنقبض العنان والله ينفعنا واياكم بالعلم ويجعلنا من اهله والحمد لله رب العالمين، تم الكتاب.